ملامح رومانسيّة في شعر محمّد الحسن منجّد

(ثنائيّة الذّات والموضوع نموذجاً)

د. أنس بديوي * كرم ياسين دالي

(الإيداع: 7 حزيران 2023، القبول: 13 تموز 2023)

الملخّص

وقف البحث على ثنائية الذّات والموضوع من خلال مجموعة من الثنائيّات: (الذّات والمحبوبة)، (الذّات والناس)، (الذّات والواقع)، (الذّات والنفس)، (الذّات والجراح)، (الذّات والهموم)، (الذّات والأصدقاء)، (الذّات والقضايا الوطنيّة)؛ التي أكّدت أن العلاقة بين الذّات والموضوع في النَّص الرّومانسي علاقة صداميّة، فلم يكن الأدب الرّومانسي صورة للمجتمع، وإنما هو صورة لما يريد أن يكون عليه المجتمع، ولم يكن الموضوع محط اهتمام الذّات، بقدر ماكان مصدر ألم الذّات واضطرابها، ونظراً لتضخم ذات الرّومانسي وتفرّدها، غلبت الذّات على الموضوع، فسجّل النص الرومانسي أثر الموضوع في وجدان الشاعر.

الكلمات المفتاحيّة: الرّومانسيّة ـ ثُنائيّة ـ الذَّات ـ المَوضوع ـ مُحمَّد الحسن منجِّد.

* طالبة دراسات عليا–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–اللغة العربية–جامعة حماة–ماجستير.

** أستاذ النقد الأدبي، في قسم اللغة العربية–جامعة حماة.

in the poetry of Mohammad Al- Hasan Munajid Romantic features (Binary of the self and the theme as a model)

* Prof Anas Bdiwe * karam Yasin Dali

(Received: 7 June 2023, Accepted: 13 July 2023)

Abstract

The research stopped on binary of the self and the theme through a group of binaries: The self and the beloved, the self and the people, the self and the reality, the self and the other self, the self and the wounds, the self and the worries, the self and the friends, the self and the national issues that confirmed that the relationship between the self and the theme

in the romantic text is a confrontational relationship.The romantic literature was not an image of society, but rather, an image of what society wants to be, and the theme was not the focus of the self's concern as much as the self's pain and turmoil. Due to the exaggeration of the romantic self and its uniqueness, the self prevailed over the theme, therefore the romantic text recorded the impact of the theme on the poets sentiment regardless of the subject matter

The Keywords: The Romanticisme, Binary, The self, The theme, Mohammad Al-Hasan Munajid.

* Assistant Literary criticism professor in the department of Arabic language – Hama.

* Postgraduate student (Master), Department of Arabic language, Hama University.

المقدّمة:

صحيح أنَّ الرومانسية مذهبٌ غربيٌّ وفد إلى ثقافتنا العربية عن طريق الترجمة والاطلاع على الآداب الغربيّة، لكنّ معاناة الرومانسي العربي لم تكن مفتعلة، فلم يكن الشاعر الرومانسي يمارس الحزن ليكتب قصيدة رومانسية تيمناً بالشعراء الغربيين، وإنما كان الحزن ينبع من أعماق قلبه، ولربما يحزن الرومانسي لمجرد الحزن، فلا يعرف مسبباته.

والرّومانسي كائن مشكلي يعيش في عالم متدهور، من جهة يرفض هذا العالم الذي ينتسب إليه، ومن جهة أخرى يطلب قيماً أصيلة يراها قادرة على تحقيق السعادة التي ينشدها[1]. وتوزّع الرّومانسي وصراعه بين الواقع الذي يشكّل القيم المتدهورة والخيال الذي يشكّل القيم الأصيلة، خلق فكرة الثنائية الرّومانسية.

فقد أحسّ الشَّاعر الرُّومانسي بالضيق، وهو إحساس غامض تولّد في نفسه من عدم قدرته على التوفيق بين ما يأمل وما يستطيع، وعدم قدرته على الانسجام مع محيطه، وقد استفحل هذا الإحساس عند شعراء الرومانسيّة، حتى سمّي بمرض العصر[2].

وقد جنّد الشعراء الرومانسيون أنفسهم لمقاومة مرض العصر والتعبير عن انعكاساته عليهم، لكنّهم لم يفوزوا في دعواتهم المثالية إلا بأمراض القلب والعصاب النفسي، والموت. فقد انتهى الأمر بالشاعر عبد الباسط الصوفي بالانتحار، وقضى القلب على الشاعر الجزائري المجدد رمضان محمود وهو في الثالثة والعشرين، ليتساقط من بعده أبرز شعراء الرومانسية التيجاني، وجبران، وأبو شبكة، والشابي، وعلي محمود طه، وصلاح لبكي، قبل أن يجاوزوا العقد الرابع من أعمارهم أو بعده بقليل[3]. أما المنجّد فقد قضى حياته يقتات التشاؤم والألم، ويغرّد الحزن والآهات، ويتسلّى بالموت مخلّصاً له.

مشكلة البحث: وجود ثنائيّة الذّات الرومانسية والموضوع في شعر شاعر رومانسي تميّزت رومانسيّته بفطريّتها.

هدف البحث: رصد وتحليل ثنائيّة الذات الرومانسية والموضوع في شعر المنجّد التي ستكشف عن دوافعه النفسيّة.

الدّراسات السّابقة: لم تدرس أشعار المنجّد دراسة علميّة تحليليةّ في حدود ما رصده البحث، والإشارة الأولى إلى موقعه في خارطة الشعر السوري نجدها عند أحمد بسّام ساعي في كتابه حركة الشعر العربي الحديث في سورية من خلال أعلامه؛ إذ ضمّه في سلك بعض الشّعراء، كعبدالوهّاب الشيخ خليل، ووليد قنباز وغيرهما[4]. وقد اعتمد البحث على الدراسات الآتية التي تناولت الثنائيّة:

1. الدّيوب، سمر: الثنائيّات الضدّيّة دراسات في الشعر العربي القديم؛ وقد درست فيه الثنائيات الضدية في القصائد المنتهية بالياء المطلقة، واهتمت بدراسة جمالية النسق الضدي في شعر أبي العلاء المعري.

---

[1]– ينظر: الفرفوري، فؤاد: أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها، الدار العربية للكتاب،1984م، ص248.

[2]– ينظر: مندور، محمد: الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، [د.ت]، ص102–104.

[3]– ينظر: نشاوي، نسيب: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص277.

[4]– ينظر: ساعي، أحمد بسّام: حركة الشعر العربي الحديث في سورية من خلال أعلامه، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1978، ص196.

الثنائيّات الضدية بحث في المصطلح ودلالته، وفيه تتحدّث عن ذاكرة المصطلح، والبعد الفلسفي لها، وتتحدّث عن صلة الثنائيات الضدية بالعلوم، والتراث الإسلامي والفلسفي، وصلتها بالاتجاهات النقدية.

2. ثنائيّة الأنا والآخر (الصعاليك والمجتمع الجاهلي)، عبد الله بن محمد التريسي، مجلّة التراث العربيّ، اتّحاد الكتّاب العرب في دمشق، العدد المزدوج 120–121، 2011م. تناول علاقة الأنا الصعاليك بالآخر القبيلة من خلال ثلاثة مواقف؛ أولهما: موافقة الآخر، ثانيهما: العزلة عن الآخر، ثالثهما: مقاومة الآخر والخروج عليه.
3. الذّات والموضوع في شعر البياتي وسامي مهدي، ياسر البلتاجي حسين، سمنود، [د]، 2022م. وفيها تناول الباحث مطلبين، الأول: سلطة الموضوع، والثاني: شعريّة التوازن.
4. الثنائيّات المتضادة وأثرها في شعر زياد الأعجم، مجلة مدد الآداب، جامعة الأمير سلطان، الرياض، ع30. وقد سعت دراسة الباحث لكشف المعاني المتضادة وبيانها في شعر زياد الأعجم وذلك بدراسة جملة من الثنائيّات.

مصطلحات البحث وتحديداته:

الرّومانسيّة مصطلحاً:

الرّومانسيّة مصطلح غربي وافد إلى وطننا العربي عن طريق الترجمة، والاطلاع على الآداب الغربيّة والتأثّر بها، والهجرة، وهو مصطلح غائم، كثير الأبعاد والتأويلات؛ إذ تعددت مسمّياته وتعريفاته وَفْقاً لكل أديبٍ وشاعرٍ بما يوافق نظرتهم إلى الحياة ومعتقداتهم وأفكارهم وأحاسيسهم وثقافتهم وبيئتهم، فلم يتم الوصول إلى تعريف واضح ومحدد الدلالة ومتفق عليه، وإنما كانت محاولات لتفصيل القول فيه.

وظهرت الرّومانسيّة ردّاً في وجه الكلاسيكيّة، ونشدت حريّة الفرد الفكريّة والحياتيّة؛ إذ تجاوزت القواعد الصارمة التي قولبت الكلاسيكية بها نفسها، مثل تغليب العقل والمنطق، والحرص على محاكاة القدماء، والالتفات إلى ما هو موضوعي.

فغلّبت الرّومانسيّة العاطفة وتبنّتها أساساً لها في حركتها الشعريّة، كما قدّست الفرد وجعلته محور الكون، ومجّدت الألم وتغنّت به، وأحبت الطبيعة وفرّت إليها، وغلب عليها التشاؤم والحزن تارة، والفرح والتفاؤل تارة أخرى.

في الثقافة الغربيّة اشتقت الرومانسية من كلمة رومانيوس التي نُسِبت إلى اللغات والآداب التي تفرّعت من اللغة اللاتينية القديمة، والتي كانت تعدّ لغات وآداباً فصيحة قبل عصر النهضة؛ إذ حلّت محلها لغات هي الفرنسية والإيطاليّة والإسبانية والبرتغالية والرومانية والبرفانسالية إحدى لهجات سويسرا. وقد اختار الرومانسيون هذا اللفظ عنواناً لمذهبهم ليعارضوا بين تاريخهم وثقافتهم القومية أي الرومانسية، وبين التاريخ والأدب والثقافة الإغريقية واللاتينية القديمة، التي قيّدت أدب الكلاسيكية بأصول وقواعد غدت بمنزلة السُّنَّة فسيطرت عليها[1].

أمّا في المدوّنة النقديّة العربيّة فقد كان المصطلح منذ أوائل ظهوره في ثقافتنا العربية في القرن العشرين مثار جدل؛ وذلك لاختلاف الظروف اللغوية والثقافيّة العربيّة عن سواها، وقد عُرِّب المصطلح ب (الرّومانسيّة)، و(الرومانطيقيّة)، و(الرّومانتيكيّة)، و(الرّومنتيّة)، وتُرجم في بعض الأقطار العربيّة ب (الإبداعيّة)، و(الابتداعيّة)[2].

1– ينظر: مندور، محمد: الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر، [د.ت]، ص59، 60.

2– ينظر: مجلّة المعلّم العربي، الكلاسيكيّة والرومانسيّة، تأصيل المسارات والتسميات: د. أنس بديوي، ع481، 2022م، ص99. نقلاً عن: الموسى، خليل ومحمد. الكايد: من مصطلحات معجم النقد الأدبي المعاصر، دمشق، 2000، ص49. ولم أستطع العودة إلى هذا المعجم.

منهج البحث: تقوم منهجية البحث على تتبع الظاهرة وصفاً وتحليلاً مع الاستعانة ببعض الأدوات الإجرائيّة للمنهج النّفسي؛ من حيث بيان أثر بعض الدوال التي تحمل قوّة الانفعال النّفسي في النّص.

الثنائيَّة لغة واصطلاحاً:

من ثَنَيَ، ويقال: ثنى الشيء ثنياً، أي ردَّ بعضه على بعض[1]، والثنائيّة مصطلح وافد من الثقافة الغربية، يعتمد أسساً فلسفية بالدرجة الأولى، وله أبعاد إيديولوجية وفلسفية موغلة في القدم[2].

ولفظ الثنائيّة مأخوذ من الكلمة اليونانيّة Duados، وهو مشتق من Duo ومعناه اثنان. ويطلق لفظ الثنائي على ماكان ذا شقين، والثنائيّة تفسَّر بزوجية المبادئ المفسّرة للكون، كثنائية الأضداد وتعاقبها أو ثنائية الواحد والمادة، أو ثنائية الواحد وغير المتناهي عند الفيثاغورثيين، أو ثنائية عالم المثل والمحسوسات عند أفلاطون، والثنائية مرادفة للإثينية التي تعدّ الطبيعة ذات مبدأين، ويقابلها كون الطبيعة ذات مبدأ واحد أو مبادئ عدّة[3]. والثنائيّة: هي كل ما يتألف من عنصرين أو واقعين اثنين[4].

الذَّات: لكل شيء خاصيته التي تميّزه عن سواه، وذات الشيء؛ قيل نفسه وعينه، وبين الذّات والشخص اختلاف؛ ذلك أن الذّات أهم من الشخص؛ فهي تطلق على الجسم وغيره، والشخص لا يطلق إلا على الجسم[5].

والحديث عن الذّات يثير تساؤلاً منطقيّاً: ماالفرق بين الأنا والذّات؟ وقد ميّز يونغ بينهما، فالأنا: مرحلة تسبق الذات، تتكوّن مع الإنسان بعد مرحلة الطفولة اللاواعية؛ أي عندما ينضج الإنسان ويصبح قادراً على التمييز بين ما يقول وما يريد، لكنّه لا يعي بعد مجتمعه كما ينبغي، وتعبّر الأنا هنا عن الفرد الإنساني وحده، وهو يعيش الوعي والشعور، ولم يصل بعد إلى مرحلة اللاشعور، فهو يعيش نزعة إثبات لذاته ترجح فيها الحياة الخاصة على العامة. وهذه المرحلة تسمّى الفرديّة، وكل إنسان يعيش هذه المرحلة قبل أن يصل إلى مرحلة التفرديّة التي يدخل فيها اللاشعور الجمعي وتبدأ فيها الذات بالتشكل[6]. بمعنى أنّ الأنا يعبّر فيها الإنسان عن نفسه ورغباته وشخصه، أما الذّات فيكتسبها بعد اتصاله بالآخرين وازدياد وعيه واتساع تفكيره، وهنا يستطيع تقييم الأنا.

1- ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة ثَنَيَ.

2- ينظر: الديّوب، سمر: الثنائيات الضدية بحث في المصطلح والدلالة، ص 9، 10.

3- ينظر: صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، [د.ت]، 1/380،379.

4- ينظر: سعيد، جلال الدّين: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص127.

5- ينظر: علي بن محمد، الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1985، ص113.

6- ينظر: تريسي، عبدالله بن محمد طاهر: ثنائية الأنا والآخر (الصعاليك والمجتمع الجاهلي)، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب في دمشق، العدد مزدوج، 120- 121، ص171، 172. نقلاً عن كتاب ما قاله يونغ حقاً، ص180. ولم أستطع العودة إليه.

الموضوع: جذره اللغوي وَضَعَ، وَضعه يضعُه وَضعاً وموضوعاً[1]، ويبيّن قاموس (le nouveau littre) أنّ كلمة موضوع Themeمشتقة من الكلمة اللاتينية Themaالمنحدرة من الإغريقيّة بالرسم ذاته، وهي تعني ما يُقدّم أو يُوضع، وهي فكرة أو قضيّة تحتاج إلى الإثبات أو المعالجة[2].

والموضوع هو ما يدور حوله الأثر الأدبي صراحة أو ضمناً، واستعمله علماء اللغة بمعنى الفكرة الجوهرية التي يدافع عنها الأثر الأدبي[3].

الشّاعر محمّد الحسن منجّد: هو مُحمّد الحسن مُنجّد بن زكريّا، وُلِد في مدينة حماه بتاريخ 1935/12/27م، درس في حماه حتىّ الثانويّة، وحصل على شهادة دار المعلّمين: أهليّة التعلّم الابتدائي، عَمِلَ معلّماً للمرحلة الابتدائيّة حتّى عام 1978م، ثمَّ عمل في التّعليم الإلزاميّ في مديرية التربية، وهو عضو في اتّحاد الكتّاب العرب منذ عام 1975م، كتب الشعر وهو في الصّف الخامس الابتدائيّ عام 1949م[4].

تتلمذ على يد الأستاذين؛ الشيخ محمد الحامد، والأستاذ عبد الرزاق الأصفر، وقرأ العروض على الشاعر المرحوم محمد عالي الحمراء المعروف ب (علي دمّر)، عُرِفَ في الصحافة الأدبيّة بالشّاعر البركانيّ لجهارة صوته، وطبيعة شعره القويّ الجزل[5]. له خمسة دواوين وهي: صراخ الجحيم 1975م، نداء الرميم 1998م، رماد الهشيم 1999م، جراح الصميم 2001م، سهر الشوق 2009م[6]. توفي بتاريخ 2017/11/11م[7].

ثنائيّة الذّات والموضوع:

إنّ العلاقة بين الذّات والموضوع في النّصّ الرّومانسيّ ليست علاقة ضديّة وإنّما هي علاقة عدائيّة، صداميّة؛ فالرومانسي يرى نفسه نبيّاً مخلّصاً للبشريّة لذا يتمرّد على الموضوع، ويرفضه، ويعاني منه ويسخط عليه. وتركيز البحث ينصب على معالجة ثنائيّة الذات والموضوع من منظور رومانسي لا من منظور ضدّيّ. وحديث البحث عن التقسيم الثنائي غايته إبراز تغلّب الذات على الموضوع وتفرّدها وتمركزها حول نفسها. فهي لاتنظر للموضوع بعين الرحمة وإنما بعين النقمة والرفض. وإن كانت ثنائية الذّات والموضوع تحمل في جوهرها معنى ضدياً.

---

[1]– ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة وضع.

[2]– ينظر: وغليسي، يوسف: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، (بحث في ثوابت المنهج، وتحوّلاته العربيّة، ومحاولات لتطبيقه)، مكتبة جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017، ص20. نقلاً عن: Le noveau littre. Editions, Granier, Paris, 2005, p.1724.

[3]– ينظر: مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص396.

[4] –ينظر: مؤسسة سعود عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ط2، مج4، [د.ت].

: معجم البابطين، جمع وترتيب وتنفيذ هيئة المعجم، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعريّ، ط2، مج4، ص402.

[5] – ينظر: منجّد، محمد الحسن: غلاف ديوان سهر الشوق، دار الفارابي للطباعة، حماه، 2009م.

[6] – ينظر: البابطين: معجم البابطين، مرجع سابق، ص402.

[7]– موقع نفحات القلم: Https:// pen_sy.com

وقد انصبت محاولة الفلاسفة لفهم الكون في تقسيمه إلى ذات (إنسان)، وموضوع (كون)، وفصلوا بينهما ببرزخ يفرّق بين جوهر الأشياء الوجودية، فبدا كل طرف منفصلاً عن الآخر، ونتج عن هذا الفصل بين الأطراف وجود الثنائيات اللاهوتية، (الخير/ الشر)، (الحق/ الباطل)..، والضدية: (الظلام/ النور)..، والاجتماعية: (الظالم/ المظلوم).. ويلتقي طرفا هذه الثنائية التي انشغل بها الفكر الإنساني على مدار عصوره داخل النفس البشرية، وبدت الحياة مرتكزة على فكرة الأضداد والثنائيات، وصارت صعبة التفسير بمعزل عنها[1].

وقد دعا الرومانسيّون إلى العودة للداخل من مبدأ وضع "الأنا" الفردية في مواجهة الأنا الاجتماعية"، على أساس أنّ العلاقة بينهما هي علاقة تناقض لا تصلح إلا بتغيير العالم الخارجي لصالح العالم الداخلي للفرد أي لصالح إنسانيته التي هي العالم الداخلي وحده. ومن هنا كانت الرومانتيكية محاولة لرد الاعتبار للفرد وجعله في مركز العالم في مواجهة جميع العلاقات الاجتماعية التي تضع من شأنه وتضطهده[2].

وبذلك عدل الرومانسيون عن رصد واقع العالم الخارجي إلى التعبير عن وقع هذا العالم على وجدانهم هم، فأصبح الوجود الباطني للأديب الرومانسي هو الوجود الحقيقي لمظاهر الواقع الخارجية التي تنطوي في كثير منها على المفارقة والتناقض؛ لذلك قادهم جيشانهم العاطفي المليء به وجدانهم أمام ذلك العالم المتغير في الخارج، المشدود بين التراث والعصرية والماضي والحاضر. وقد تجاوزوا في تعبيرهم الفني منطق العقل فخلقوا علاقات جديدة بين الأشياء عن طريق الخيال البعيد والاستخدام الجيد لألفاظ اللغة وأساليبها[3]. وسيتّضح هذا في دراسة الثنائيات الآتية:

(الذّات والمحبوبة)، (الذّات والناس)، (الذّات والواقع)، (الذّات والنفس)، (الذّات والجراح)، (الذّات والهموم)، (الذّات والأصدقاء)، (الذّات والقضايا الوطنية).

ثنائيّة الذّات والمحبوبة:

احتلت المرأة في الأدب الرومانسي مكانة رفيعة لم تحظَ بها من قبل، وأوصل السمو بالعواطف والصدق فيها إلى نوع من تقديس المرأة والاحتفاء بها والخضوع لسلطانها خضوعاً وليد صدق عاطفة لا ضعف، فقد رأى أكثر الرومانتيكيين أنّ المرأة ملاك هبط من السماء ليطهّر القلوب بالحب، ويرقى بالعواطف، ويزكي الشعور، ويشجّع على القيام بالواجبات الإنسانية الحياتية[4]. فكيف كانت علاقة المنجّد بالمرأة؟ وكيف كانت ردة فعله تجاه المحبوبة؟ يتضح هذا من خلال فقرتي: (الوفاق مع المحبوبة)، و(الصراع مع المحبوبة).

1. **الوفاق مع المحبوبة:** يقول في قصيدة ضياء الشوق:

غســـلتُ بالـــدَّمعِ آلامِـــيْ وأحزانِـــيْ ورحـــتُ أعـــزفُ رغـــمَ الشَّـــيبِ ألحـــانِيْ

---

[1]–ينظر: سمر، ديوب: الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم، دمشق، وزارة الثقافة، 2009، ص4.

[2]– ينظر: الشريف، جلال فاروق: الرومانتيكية في الشعر العربي المعاصر في سورية ملامح ثورة مهدورة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1980، ص204.

[3]– ينظر: القط، عبدالقادر: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، 1981، ص12.

4– ينظر: هلال، محمد غنيمي، الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر، [د.ت]، ص170–172.

لأجـلِ عينيـكِ يالحنـاً سـرى بـدمي يجـدِّدُ العمـرَ قـدْ جـدَّدتُ إيمانِـيْ
لأجـلِ عينيـكِ أخشـى أنْ تفـارِقَني روحـي ويخمـدَ قبـلَ الوصـلِ بركـانِيْ
وحـقِّ عينيـكِ لـمْ ألمـحْ بغيرِهِمَـا حبّـاً كحبّـكِ يجلـو ليـلَ حرمـانِيْ
فهـلْ أرى بسـوى عينيـكِ بـرقَ هـوى يجلـو شـقائِي ويمحـو سـفرَ أشـجانِيْ
وهـلْ تصـوَّرتِ يومـاً أنْ أعـيشَ بـلا سـماعِ صـوتِكِ يـدعوني وينهـانِيْ
أحيـا غريبـاً إذا مـا غبـتِ عـنْ نظـريْ فضـوءُ عينيـكِ يـاعينيَّ عنـوانِيْ
فـلا تغيبـيْ إذا لملمـتُ أمتعتِـي غـداً لأوغـلَ فـي صـمتي وأحزانِـيْ
لاتتركينـيْ علـى أشـواكِ ذاكرتـي وتمعنـيْ باعتـذاراتٍ ونسـيانِ
فـلا تخـافيْ النّـوى يـاحلوتي فأنـا مهمـا بعـدتُ ضـياءُ الشَّـوقِ يغشـانِيْ[1].

تتجلّى ثنائية الذّات الشاعرة والموضوع المحبوبة باستخدام الضمائر ياء المتكلّم/ وضمير المخاطب أنتِ، في قوله آلامي، أحزاني/ عينيكِ، سواكِ، غبتِ، أيقظتِ، ويتولّد من هذه الثنائيّة ثنائيات أخرى تعبّر عن مشاعر الشاعر تجاه المحبوبة، فقد قلبت حاله من حزن لفرح، باستخدام ثنائية (آلامي، أحزاني/ ألحاني)، وجعلته يغسل أحزانه ويعزف لحن حبهما، ويلاحظ تكرار الشاعر للفظة عينيكِ على مدار أربعة أبيات متتالية وهذا يدلّ على هوس الشاعر بالمحبوبة، وافتتانه بعينيها، إذ إن "التكرار دليل على الهوس، وتجذّر هذا الهوس في نفسية الشاعر"[2]، وما يثبت ذلك محاولة الشاعر التماس رضاها وإثبات صدق حبه لها باستخدام الأساليب الطلبية التي تشي باندفاع الشاعر وانجراف مشاعره نحو المحبوبة واستحواذ المحبوبة على كليّته، فحبها يجلو ليل حرمانه، وبرق عينيها يمحو شقاءه وحزنه، ولا يستطيع العيش دون سماع صوتها، وعبّرت ثنائية (يدعوني/ ينهاني) عن تعلّق الشاعر بالمحبوبة، وهو يشعر بالغربة إذا غابت عن نظره، ويطلب منها ألا تتركه للذكريات متعلّلة بالنسيان، وألا تخشى البعد لأنه مهما بعُد سيعيده شوقه إليها، ويكشف المعجم الشعري الذي يعبّر عن الذّات الشاعرة عن سيطرة المفردات التي تنتمي إلى حقل الألم، من مثل قوله: (الدمع، آلامي، أحزاني، شقائي، أشجاني، صمتي). وهذا يدلّ على أنّ الألم سمة ملازمة له، وأنّ المحبوبة هي السبيل إن لم يكن للخلاص من الألم، فإلى إخماد جذوة الألم.

2. الصراع مع المحبوبة: رأى قليل من الرومانتيكيين أنّ المرأة شيطان يضلّ الناس ويغويهم[3]، وقد وقعنا على هذا المعنى عند المنجّد ضمن ثنائية الذات الشاعرة والمحبوبة باستخدام الضمائر (أنا/ أنت)، في قوله: (نفسي/دعي)، في حديثه عن خداعها وزيفها وتمثيلها دور المحبة، يقول في قصيدة مسلسل حب:

1- ديوان جراح الصميم، ص17، 18.

2 – وغليسي، يوسف: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، ص215.

26- هلال، مرجع سابق، ص172.

دعـــيْ عنـــكِ الهـــوى لاتدَّعيـــهِ ففـــي أجوائِـــهِ خـــوفٌ ورعـــبُ
فمـــا كـــان الهـــوى هجـــراً وبُعـــداً ولكـــنَّ الهـــوى وصـــلٌ وقـــربُ
وأنـــتِ تمثِّلـــينَ الحـــبَّ دوراً لـــه بعـــدَ انتهـــاءِ العـــرضِ كســـبُ
وبينـــك لـــو ســـألتِ القلـــبَ يومـــاً وبينـــي نهـــرُ أحـــزانٍ يصـــبُّ
تغلغـــلَ فـــي شـــراييني وأورى جراحـــي فـــالحريقُ بهـــا يشـــبُّ
وعلَّمنـــي بـــأنَّ الحـــبَّ زيـــفٌ وأنَّ الغـــدرَ بـــالمحبوبِ عـــذبُ[1]

استخدم الشاعر في الأبيات السابقة أسلوب الحوار القصصي الذي يحفّز خيال المتلقي ويوسّعه ويجعله يشارك الشاعر في تجربته ومشاعره، فقد استيقن الشاعر زيف المحبوبة من بعدها عنه؛ إذ إنّ بعد المحبوبة عنه وشى بخداعها، وقد قدّم هذا المعنى زوج من الثنائيات المتقابلة، وهي: (هجر وبعد/وصل وقرب)، أظهرت تضاد موقف الشاعر مع المحبوبة فالحب عنده وصل وعندها بعد، مما وسّع الهوة بين ملتقى قلبي الشاعر والمحبوبة بنهر من الحزن، أشعل جراح الشاعر وقلب نظرته بحب كهذا معقود بالهجر بأنه عين الزيف، وأنّ الغدر بمحبوب آيته البعد متعة تليق به.

وهذه الثنائيات أعطت قيمة جمالية للنص، لفتت انتباه المتلقي وأيقظت ذهنه لمتابعة سياق النص؛ لأنها أبطأت التقاءه بالمعنى، وحرّكت إشارات تصويريّة[2] كان لها دور في إيصال خيبة أمل وحزن الذّات الشاعرة من الموضوع المحبوبة المخادعة.

ثنائية الذّات والنّاس:

عانى الشاعر الرومانسي شعوراً موازياً لشعور الغربة تمثّل في تأزمّ علاقة الأنا بالعالم الخارجي، فلم ينسجم الرومانسي مطلقاً مع المحيط البشري الذي يعيش ضمنه، وكانت العلاقة بينهما متوترة، يرأسها سوء التفاهم، وشعور الرومانسي باضطهاد الناس له[3]. يقول في قصيدة يأس مقابلاً بين صفاته وصفات الحاقد الوقح المنعدم الأخلاق:

وفيْ جحيمِ شعوري يكتويْ أملٌ يُدميْ الفؤادَ وخوفَ اللَّومِ أبتسمُ
وجلٌ من هوَ حولي حاقدٌ وقحٌ تزورُ عنْ نفسهِ الأخلاقُ والقيمُ
مُعطَّلُ الحسّ مغرورٌ يعيشُ بِهِ وحشٌ تصولُ بهِ الأحقادُ والنّقمُ
وبين جنبيَّ يحيا الخيرُ مزدهياً وفي ضميري ينمو اليأسُ والسَّأمُ
وآفةُ العيشِ أنّي شاعرٌ كرهتْ نفسي الحياةَ وغيري جائعٌ نهـمُ[4]

---

[1]– ديوان جراح الصميم، ص49.

[2]– ينظر: الرشيدي، مسلم عبيد: الثنائيّات المتضادة وأثرها في شعر زياد الأعجم، مجلة مدد الآداب، جامعة الأمير سلطان، الرياض، ع30، ص258.

3– ينظر: الفرفوري، مرجع سابق، ص125.

[4]– ديوان صراخ الجحيم، ص26.

تتجسّد ثنائية الذات الشاعرة والناس باستخدام الضمائر: (أنا/هو)، في قوله: (شعوري، جنبي، حولي/هو، نفسه، يعيش). ومنهما تتفرّع ثنائية (الخير/ الشر)، إذ يمثّل الشاعر الخير، وتمثّل الناس الشر بانعدام أخلاقها وقيمها ووقاحتها وحقدها، حتى إن الشاعر صار يخفي ألمه خلف ابتسامة مزيفة خشية لوم الناس له، فالشاعر في الأبيات منسلخ عن الآخر المنعدم الأخلاق، المرتمي على الحياة التي كرهها الشاعر، فالعلاقة بينهما متأزمة غير منسجمة لعدم توافق الطرفين. واستخدام الشاعر اللغة الإيحائيّة ليوحي بأنه الخير، وأنّ الناس الشر؛ يدلّ على تضخّم ذاته وازدرائه للموضوع وصراعه معه.

لم تكن صدمة الشاعر من الحياة وقفاً على اضطهاد الناس له، وعدم تقديره، بل إنه خاب أمله حتى في أولاده، يقول:

رجوتُ بنيَّ حينَ عتا زماني فخيَّبَ كلُّ أولادي رجائي[1]

ظهرت ثنائية الذات الشاعرة وأولاده من خلال استخدام الضمائر: (أنا/هم)، في قوله: (رجوت/ أولادي)، فقد كان الشاعر يرجو الخير في أولاده لكنهم خيبوا رجاءه، مما زاد حزنه حزناً وغربته الوجودية غربة أشد وأعظم.

ثنائية الذات والواقع:

يشكّل العمل الفني كتلة ملتحمة من الواقع ورؤية المبدع، فالشاعر ليس مرآة للواقع، ولا يتحدث في شعره عن عالم غير موجود، لكنّه يصوغ الواقع الخارجي بنظرته الذّاتيّة[2]؛ لذا لم يتغيا الرومانسي تصوير الواقع، وإنما صوّر أثر الواقع على وجدانه.

ولم يتخذ الرومانسيّون الواقع مصدر ثقة، لذا بحثوا عن مصدر آخر للإبداع، وأصبحت العلاقة بين الذات والواقع علاقة صدامية مرهونة بالشكوى والألم، تغلبت الذات فيها على الموضوع في علاقة ثنائية، كما تغلبت العاطفة على الفكر واللاشعور[3]. فما الواقع الذي ينكأ جرح الشاعر، وما الواقع الذي تبحث عنه ذاته؟ يقول في قصيدة الحضارة وإنسان العصر:

ألسنا مـنْ بنـي الإنسانِ طـرًّا فكيـفَ أتـى التملُّـقُ والرَّقيـقُ

وحـوشُ الغـابِ شـرعتُها افتـراسٌ وشـرعتُنا التـآلفُ والوثـوقُ

يجـوعُ الطفـلُ فـي الـدُّنيا ويعـرى ويُحجـبُ عَـنْ موائِـدِهِ الـدَّقيقُ

حلـوقٌ للتقيُّـؤِ فـاغراتٌ وكـمْ مِـنْ جوعِهَـا فُتِحَـتْ حلـوقُ

فكيـفَ أصـابَ عالمنـا التـردّي وسـادَ بـه التنكُّـرُ والعقـوقُ

تظهر ثنائية الذات الشاعرة والواقع، من خلال استخدام ضمير الجمع (نا)، فالذات متمازجة مع الموضوع لأنه يتحدث عن الواقع المجتمعي الذي يمسه بوصفه شاعراً عربياً؛ إذ تشكو الذات الشاعرة من التفاوت الطبقي الذي خلقته المجتمعات الظالمة التي يتبنى سادتها شريعة الافتراس في ثنائية (الافتراس/ التآلف)، مقابل شريعة التآلف التي فطر عليها أبناء المجتمع، هذا

---

[1]– ديوان نداء الرميم، ص115.

[2]– ينظر: الذات والموضوع عند البياتي وسامي مهدي، ص38

3– ينظر: ديوب، سمر: الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالته، سلسلة مصطلحات معاصرة، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، 2017، ص124.

المجتمع الذي تجوع فيه فئة الضعفاء وتعرى مقابل تخوم بطون النبلاء، وتردي الواقع أحد مسببات قلق الذات الشاعرة وألمها تلك الذّات التي تحلم بواقع تسود فيه العدالة والحرية، يقول:

أنا إنسانُ هذا العصرِ أهفو إلى كونٍ تسودُ بهِ الحقوقُ
وينعمُ بالعدالةِ كلُ شعــبٍ فكلُّ مواطنٍ حرٌّ طليـــقُ
بنيْ الإنسانِ كوكبُكُمْ صغيرٌ وعالمُكُمْ على سَعةٍ يضيقُ
تعالوا نَبْنِ للإنسانِ صرحَاً حضاريَّاً بعالمنا يليقُ
لنتركْ للورى إرثَاً شهيَّاً يسيِّجُهُ من الزَّهرِ الرَّحيقُ[1]

هذا هو الواقع الذي تنشده الذات الشاعرة من خلال ثنائية (أنا/ أنتم)؛ إذ يحض الشاعر كل إنسان على بناء إرث حضاري يكون مدعاة فخر للأجيال اللاحقة. فقد رفضت الذات الشاعرة الواقع المتردي، ودعت إلى واقع حضاري يليق بالإنسان العربي. وهذا يؤكّد أن الأدب الرومانسي لم يكن صورة للمجتمع، وإنما كان استجابة لبعض النوازع الفردية لاستبدال الواقع بمشاعر وخواطر تعوز الواقع، ولكنها تكمله وتعادل بينه وبين الأماني التي ينشدها المعاصرون. فالصلة بين الرومانتيكيين وعصرهم صلة صراع وجهاد، أو سلطة وسخط وغضب[2].

ثنائية الذّات والنّفس:

دعا الرومانسيون إلى أن تكون النفس البشرية ومايعتريها من أحاسيس موضوعاً للأدب، مما جعلهم في ممارساتهم الأدبية يقبلون على أنفسهم يصورون أشواقها ومشاعرها وتطلعاتها ونزواتها ويخصونها بالمكانة الأولى في كتاباتهم. وهذه المكانة التي احتلتها النفس عند الرومانسيين جعلت الأنا يشكل محوراً قائم الذات في إنتاجهم[3].

يقول في قصيدة شبح الزوال مظهراً سمو نفسه عن كل دنية:

فيا نفساً تعافيـــنَ الدَّنـايا زمانُـك هابطٌ وهــواكِ عالِ
ويا نفساً تتوقُ إلى المعالي علاكِ بما حملتِ منْ خصالِ
لقد فسدَ الزَّمـانُ فكـلُّ فردٍ بعالمــنا يسيرُ إلى انحـــلالِ
فلا تأسيْ على ما فاتَ إنّي أقـدِّسُ فيـكِ جوعَـكِ للنـــزالِ
فكمْ ألقيتني في مهلكـاتٍ وكم خلّصتني منْ كلّ غـالِ
وكمْ راودتني فَعَصَيْتُ جَهراً وحينَ زجرتني بدأَ اشتعــالِ ي[4]

---

[1]– ديوان سهر الشوق، ص39–41.

[2]– ينظر: هلال، مرجع سابق، ص45، 46.

[3]– ينظر: الفرفوري، مرجع سابق، ص122.

[4]– ديوان جراح الصميم، ص5.

تتوضح ثنائية الذات الشاعرة والنفس في الأبيات من خلال استخدام الضمائر (أنا/ أنت)، في قوله: (أقدس/ يا نفساً)، وقد قابل الشاعر بين هوى نفسه العالي التي تعبّر عن طموحه والزمن الهابط من خلال ثنائيتي: (الدنايا/ المعالي)، و (هابط/ عالٍ)؛ إذ تبغي نفسه المعالي في زمن فاسد لا يشجّع على الفضيلة، ولذلك الشاعر يقدّس نفسه التي تصارع هواها لتبلغ معالي الأمور، فنفس الشاعر كأي بشر في صعود وهبوط، يجسد هذا المعنى ثنائيتا (ألقيتني/ خلّصتني)، (راودتني/ زجرتني)، فالشاعر يتقلب في هواه بين التجاوب والتمنّع، فتارة نفسه تضله وتارة تهديه، ويكفيه جهاد نفسه لترقى إلى المعالي. وقد أحدثت هذه الثنائيّات إيقاعاً في النص يجذب المتلقي للإصغاء ويوصل للمتلقي سمو نفس الشاعر وعدم تأثّرها بفساد الزمن بل ترفّعها عن الدنايا.

ثنائية الذات والجراح: يتخذ الشاعر من جراحه موضوعاً يصف فيه معاناته في الحياة، يقول في قصيدة أوقفي النزف:

بين نار الأسى وشوك اغترابـي أكتب الشعر تحت وقع الحراب

أكتب الشّعر!! فاهدئي ياجراحي أوقفي النزف من عروق الرغاب

صوّح العمر واستبدت همومـي ونما اليأس بعد موت الشّبـاب

ياجراحـاً تبـوَّأت عرش قلبـي واسـتدارت تحيـطه بالتهـاب

أوقفي النزف ... أوقفيـه وإلّا أعلن الآن منكِ بدء انسحـابي[1]

يخاطب الشاعر جراحاته في قصيدة أوقفي النزف، يجسدها ويحكي عنها كأنها مخلوق يحس ويشعر ويدرك، وكأنه انسلخ عن نفسه، وكأن جراحاته شخص دخيل عليه راح يسايسه ويحاوره لعلها تنفك عنه وتوقف نزيفها وثورتها الدامية، يرسم ذلك في ثنائية الذات والجراح، والتي تظهر من خلال استخدام الضمائر: (أنا/ أنت)، في قوله: (أكتب/ ياجراحي)؛ فقد استحوذت جراحه على قلبه وأحكمت سيطرتها عليه مسببة الألم له، وقد تمادت جراحاته في ثورتها حتى أوشك أن يعلن انسحابه منها، فالشاعر لايريد أن يسمع صوت جراحاته، لأنه لايقوى على إزالتها، لأنها متجذرة في قلبه، فأخمد نارها بتجاهلها، إذ يعاني مايعاني من أسى واغتراب، ولامتسع لمزيد من الألم. يكرر الشاعر محاولة مسايسة جراحه، يقول:

فاهدئـِيْ ياجراحي لا لاتثـوري وامنحينـيْ الأمانَ بعد ارتيابِي

ياجراحي برغمِ ما نلتِ مني لاتبيتي على الطَّوى في غيابي

جرّبي النيلَ من سوايَ قليلاً ثمَّ عـوديْ وأنعمـيْ بالثوابِ

قد تعلَّمتُ كيف أقتلُ نفسي وتعلَّمتُ كيفَ ألقـى حسابي

وتعلَّمت أنْ أكـونَ سخيَّـاً بدمائـي مضـرَّجاً بالمـلابِ

صولجانُ القريضِ ملكُ يميني ويساري مرفوعـةٌ للضـرابِ[2]

---

[1]– ديوان جراح الصميم، ص9.

[2]– ديوان جراح الصميم، ص10، 11.

وهنا يطلب من جراحه أن تعطيه الأمان بعدما أثارت ارتيابه، من خلال ثنائية (الأمان/ ارتيابي)، ثم يهزأ الشاعر من جراحه ويطلب منها أن تنال من غيره في غيابه، لأنه متأكد من أنه لا أحد يقوى على تحملها كما تحملها، وكأنَّ الشاعر اعتاد الألم حتى صار جزءاً منه، وقد أعطت الثنائيّات السابقة معنى أكثر قوّة في النص أظهرت للمتلقي ذات الشاعر القوية الثائرة المتمردة التي أعلنت انفصالها عن الجراح، فلا ألم بعد اليوم يلوي عنق الشاعر، فقد اعتاده حتى صار يتلذّذ به، فقد قهر الألم بصموده.

ثنائية الذات والهموم:

فطر الشاعر على الشقاء، فقد لازمته الهموم مذ كان يحبو طفلاً صغيراً لا يعي الإشارة، وعندما كبر نازعته في طموحه وحطمت أحلامه، يقول في قصيدة خيبة الدلاء:

ليالي العمرِ تمعنُ في ابتلائِي وتتركني بلا زادٍ وماءِ
ولكنّي بدأتُ العمرَ طفلاً شقيَّاً مُذْ بُعثتُ مِنَ الخفاءِ
ولمَّا أنْ كبرتُ وشاقَ رُوحي طموحٌ مستبدٌ للعلاءِ
تكالبتِ الهمومُ عليَّ حتَّى رأيتُ الشَّمسَ تظلمُ في سمائ ي[1]

تبرز ثنائية الذات والهموم، التي استخدم فيها الضمائر: (أنا/ هي)، في قوله: (روحي/ الهموم)، معاناة الشاعر الفطرية مع الهموم، وذلك من خلال المقابلة بين همومه وطموحه؛ إذ غلبت الأولى على التالية حتى أظلمت حياته، وقد جسدت ثنائية (الشمس/ تظلم) تشاؤم الشاعر واستفحال اليأس في قلبه، فالشمس ترمز لطموحه والظلمة تشير إلى همومه، فكلما أضاءت طموحه حياته أطفأتها الهموم بسوادها. وقد سيطرت على الأبيات السابقة مفردات الشقاء والهم والظلام وكلها تشي بتأزم ذات الشاعر وتأججها بنيران الهموم، لكن السؤال الذي يطرح نفسه، ما الذي يمكن أن يجعل ذات طفل حزينة يائسة شقية؟؟ بكل تأكيد هذا لب الرومانسية؛ الحزن لمجرد الحزن، والألم لمجرد الألم، كلها فطر عليها الشاعر الرومانسي ويكابدها لأسباب مجهولة.

ثنائية الذّات والأصدقاء: افتخر الشاعر بصديقه عبد الوهاب الشيخ خليل، وعبّر عن توحد ألمهما ومأساتهما، يقول في قصيدة تعالَ نصلِ الفجر:

صديقي أبا الخير استمعْ لي فإنّني أُباهي بكَ الدُّنيا حداءً وحاديا
وأملا كؤوسَ الحبِّ والودِّ بيننا وتترعُ من دنِّ المروءة جاميا
كلانا يصبُّ العطرَ والنَّور والنَّدى ونزرعُ أفراحاً ونجني مآسيا
كلانا وحقِّ الله يفدي صديقَه ولم نلقَ إلانا مدى العمرِ فاديا
حملنا على الأكتافِ نعشَ طموحنا وسِرنا إلى مثوى الطموح بواكيا

[1]– ديوان نداء الرميم، ص114، 115.

نصوغُ شعاراتٍ ونُحيي مواسماً تموُت قبيلَ الفجرِ تمحو الأمانيا
أبا الخير يا رمزاً لكلِّ فضيلةٍ وعوناً لمن وافى حياضك راجيا
أُكرّمُ فيكَ اليومَ نفسي وكلّ مَنْ تنكَّب سيفَ الشّعرِ وانقضَّ غازيا
يردُّ عن الأوطانِ كيدَ عداتها ويرفعُ خلّاقاً ويُسقطُ باغيا[1]

تتجلّى ثنائية الذات الشاعرة والأصدقاء من خلال استخدام الضمائر: (أنا/ أنت)، في قوله: (أباهي/صديقي)، فالشاعر يفاخر بصديقه الذي يلازمه حظاً؛ إذ إن الشاعر يتحدث عنهما بضمير الجمع (نا)، لتوحد مأساتهما، فكلاهما زرع الفرح ولم يحصد إلا الأسى، وكلاهما يفدي الآخر ولم يجد من يفديه على مدار حياته، حتى إن طموحاتهما شيعت إلى مثواها الأخير ولم يكتب لها البقاء، وكل الشعارات التي صاغاها عنواناً لأمانيهما اندثرت قبل أن ترى النور، توضحت هذه المعاني من خلال ثنائيتي: (الأفراح/ المآسي)، (نحيي/ تموت) اللتين جسدتا ذاتاً متوحدة بالآخر راثية لحالهما. فالشاعر من خلال أبيات الثناء السابقة لصديقه الشاعر عبد الوهاب يحاول أن يقول له إنّه يشعر به، وإنّ وجعهما واحد، لعلّ هذا يخفف من وطأة الحزن في قلب صديقه. وإنّ استهلال الشاعر قصيدته بأسلوب النداء أضاف عنصر التشويق إلى النّص؛ إذ دفع المتلقي إلى الاهتمام بالمنادى ولفت انتباهه إلى ما يخفى وراء هذا النداء من حرقة الذّات الشاعرة وألمها وشكواها.

ثنائية الذات والقضايا الوطنية:

الذات والوطن: عانى المنجد الاغتراب الروحي والمادي، فلم يقدر حق تقديره في بلاده، يقول في قصيدة خيبة الدلاء:

كرهتُ العيشَ في وطني ويبقى يشرّفني إلى وطني انتمائي
بروحي أفتديه وإنْ قلاني وغيّبني وأمعنَ بالخفاءِ
وحمّلني همومَ العيشِ كُرهاً ونازعني الخلاصَ مِنَ البلاءِ
وأطعمني على جوعي فُتاتاً وأطعمَ شائناً دسمَ الغذاءِ
أنا الألقُ المقدَّسُ يا بلادي لأجلكِ أنتضي قلمَ الفداءِ

لئن نسيَ الترابُ هوى انتمائي فهل نَسيتْ قداستُهُ حُدائ ي[2]

تظهر ثنائية الذات والوطن من خلال استخدام الضمائر: (أنا/ هو)، في قوله: (كرهت/ وطني)، فالشاعر رغم اعتزازه بانتمائه لوطنه، ورغم عدم توانيه في فدائه، لكن روحه سئمت العيش فيه، فقد غيّبه وجعله يعيش مكرهاً غريباً، ولم يجنِ منه إلا فتات العيش، مقابل إطعامه غيره الدسم. ولعل في هذا شيئاً من إسقاط الشاعر مأساته على بلده، وتحميله مسؤولية ماحلّ به، والعيش بدور الضحية، الذي أَلِفَ الرّومانسيون السير على منهجه. وأخيراً يذكّر وطنه بأهميته، وبأنه يفدي وطنه. وقد

[1]– ديوان شهر الشوق، ص179– 182.
[2]– ديوان نداء الرميم، ص116، 117.

أوضحت هذه الثنائيّة الرومانسية للمتلقي عزّة نفس الشاعر برغم حزنه على عدم تقديره في بلاده، وبيّنت صراع الذات الشاعرة مع الموضوع الوطن.

الذات والقضية الفلسطينية: يقول الشاعر في قصيدة صوت الثأر:

ضمِّدْ الجرحَ يا أخي وتجلَّد واسلكْ الدَّربَ للعلا وتمرَّدْ

واهجرْ اليأسَ والخنوعَ وشيّدْ فوقَ هامِ الخلودِ صرحاً ممرَّد

تبدو ثنائية الذات الشاعرة والفلسطيني من خلال استخدام الضمائر: (أنا/ أنت)، وفيها يخاطب الشاعر الفلسطيني المتألم، ويدعوه لتضميد جراحه والنهوض من جديد للوقوف في وجه الصهاينة.

ثمّ يعزو سبب الهزيمة إلى التفرّق وعدم وجود الدفاع، يقول:

قد ضللنا الطريقَ يوم مضينا شيعاً في لقاءِ خصمٍ موحَّد

العدو اللئيم شادَ حصوناً في حمانا ولم يزلْ يتوعَّدْ

والسكونُ العميقُ رانَ فقومِيْ أظلمَ الحسَّ فيهم وتبلَّدْ

يا لإرث الجدودِ أضحى مقاماً للأعادي وكلّ شبرٍ تهوَّدْ

والمروءاتُ بالمفاسدِ ذابتْ جيلُنا اليومَ فاقدُ العزمِ مقعد

يستخدم الشاعر ضمير الجمع (نا) ليدل على أن القضية هي قضية العرب جميعاً، فالجرح واحد، وهنا يلوم الشاعر على العرب عدم تكاتفهم ضد المحتل، كما ينتقد تجمّد العرب وتبلّد مشاعرهم تجاه ما يحدث في فلسطين، فقد أضحى أبناء العرب بلا مروءة، مما مهّد للصهاينة التمادي، فاحتلوا كل شبر في أرض فلسطين دون أن يجدوا من يردعهم من العرب.

يحاول الشاعر أن يحث جيل العرب على التوحّد مجدّداً وتجديد العهد، من خلال الثنائيات: (الموت/ الحياة)، (يموت/ تولد)، (حر/ مقيد)، فالموت أجمل من حياة غيبّت فيها الحقيقة، وكفى الإنسان شرفاً أن يموت حرَّاً على أن يعيش مقيّداً، يقول:

أمةَ العربِ أنجدينا بجيلٍ يعربيّ الإبا إذا الخصمُ عربد

أنجدينا بخالد وضرار يركعُ الخصمُ إن حملنا ويسجد

أنجدينا بطارق بن زياد أرهفَ الفتحَ سيفُه فتجرَّد

يارفات الجدودِ في القدس صبراً إن صليت اللظى وأُحرقَ مسجد

سوف يصحو على روابيك فجرٌ وترفُّ المنى ويسطعُ فرقد

لن يموتَ الجهادُ والعربُ فيهم قبسٌ من ضياءِ عيسى وأحمد[1] .

[1]– ديوان جراح الصميم، ص65، 67.

ولمزيد من التحريض يستدعي الشاعر الرموز التاريخية القديمة ففيها التفريغ الكلي لما تحمله تجربته الشعورية مع الموضوع من عاطفة[1]. وهنا يطلب المنجد من أمة العرب أن تنجب أبطالاً أشباه خالد وضرار وطارق بن زياد لتحقق النصر، وفي هذا ما فيه من استنهاض لهمة الشباب. ويبقى الشاعر متفائلاً بالعرب ما داموا قبساً من شعلة عيسى وأحمد. فالذّات الشاعرة تنظر إلى الموضوع القضية الفلسطينيّة بعين المخلّص المنقذ، لذا رأينا ذاتاً متألّمة ساخطة على خنوع العرب، محرّضة على الثورة وعدم الاستسلام، لديها إيمان بقدرة العرب على تحقيق النصر.

الخاتمة ونتائج البحث:

استطاعت ثنائيّة الذّات والموضوع أن تخرج مكنونات الشاعر النفسية، فغلبت الذات الشاعرة على الموضوع في مشاركة تجربة معاناتها معه لأنها ذات رومانسية متضخمة، متأزمة، متفرّدة، تشكو الألم وتنعم به، والتقت الذات بالموضوع في وحدة الألم واليأس، وقد ظهر تأزم الذات الشاعرة وتأججها وسخطها على والواقع والناس من خلال التقسيم الثنائي الّذي ولّد أبعاد النص الدلاليّة والجماليّة والنفسية، وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. دلّت ثنائيَّة الذّات الشّاعرة والمحبوبة على تعلّق الشّاعر بالمحبوبة وافتتانه بها فقد كانت المحبوبة السبيل إن لم يكن للخلاص من الألم، فإلى إخماد جذوة الألم. وكانت المحبوبة على الطرف الآخر درساً قاسياً للشاعر موشّى بالزّيف والغدر. وهذه الثنائيّة أعطت قيمة جماليّة للنّص وكان لها دور في إيصال خيبة أمل وحزن الذّات الشاعرة من الموضوع المحبوبة المخادعة. فغلبت الذَّات على الموضوع.
2. كشفت ثنائيّة الذّات الشّاعرة والناس عن عدم انسجام الشاعر مع أبناء مجتمعه؛ إذ كان عرضة للحسد والحقد واللوم، فكانت العلاقة بينهما متأزّمة غير متوافقة، رفض الشاعر أن ينتمي لهم، فانفصلت ذاته عن الموضوع الناس. وقاست هذه الذّات الرّومانسيّة الغربة الروحيّة رغم وجودها بينهم.
3. أظهرت ثنائيّة الذّات الشّاعرة والواقع، تمازج الذّات مع الموضوع؛ لأنّه يتحدّث عن الواقع المجتمعي الذي يمسّه بوصفه شاعراً عربياً؛ فشكت الذّات الشّاعرة من التفاوت الطبقيّ الذي خلقته المجتمعات الظّالمة. وكان تردي الواقع أحد مسببات قلق الذّات الشّاعرة وألمها تلك الذّات التي تحلم بواقع تسود فيه العدالة والحرية. فلم تصوّر الذّات الرّومانسيّة الواقع، وإنما صوّرت ما تريد أن يكون عليه الواقع؛ لأنها ترفض هذا الواقع المتردي.
4. صوّرت ثنائيّة الذّات والنّفس جبلة الشاعر الصادقة وطموح نفسه إلى المعالي، تلك النفس التي توزّعت بين مخالفة هواها وموافقته. وقد أحدثت هذه الثنائيّة إيقاعاً في النص جذب المتلقي للإصغاء وأوصل له سمو نفس الشاعر وعدم تأثّرها بفساد الزمن بل ترفّعها عن الدنايا. فالتقت الذات بالنفس في اضطرابها وتخبطها وطموحها.
5. بيّنت ثنائية الذات والجراح للمتلقي ذات الشاعر القوية الثائرة المتمردة التي أعلنت انفصالها عن الجراح، فلا ألم بعد اليوم يلوي عنق الشاعر، فقد اعتاده حتى صار يتلذّذ به، فقد قهر الألم بصموده.
6. استطاعت ثنائية الذات الشاعرة والهموم أن تبرز تألّم الذّات الشّاعرة وتأجّجها بنيران الهموم التي لازمت الشاعر منذ نعومة أظفاره.
7. أبرزت ثنائيّة الذات والأصدقاء حرقة الذّات الشاعرة وألمها وشكواها وتوحّد مأساتها مع الموضوع الأصدقاء.
8. جسّدت ثنائيّة الذّات والقضايا الوطنيّة حزن الشاعر على عدم تقديره في وطنه، وقد حاولت الذات الشاعرة تأكيد وجودها لأنّ الذّات الرّومانسيّة متضخمة ترفض التهميش. ونظرت الذّات الشاعرة إلى الموضوع القضية الفلسطينيّة بعين المخلّص

[1]–ينظر: إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، القاهرة، 1966، ص199.

المنقذ، لذا رأينا ذاتاً متألّمة ساخطة على خنوع العرب، محرّضة على الثورة وعدم الاستسلام، لديها إيمان بقدرة العرب على تحقيق النصر. فكانت علاقة الذات بالقضايا الوطنية علاقة ثوريّة ترفض الواقع وتدعو إلى تغييره.

9. كان اعتماد البحث على بعض الثنائيّات الضدية التي وردت في شعر المنجّد مفيداً في تعزيز فكرة الثنائيّات الرومانسيّة وتوضيح دلالاتها النصيّة والنفسيّة.

ثبت المصادر والمراجع:

- إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، القاهرة، 1966.
- بديوي، أنس: الكلاسيكيّة والرومانسيّة، تأصيل المسارات والتسميات، مجلّة المعلّم العربي، ع481، 2022م.
- ابن منظور، أبو الفضل لسان الدين بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، [د.ت].
- التريسي، عبد الله بن محمد: ثنائيّة الأنا والآخر (الصعاليك والمجتمع الجاهلي)، مجلّة التراث العربيّ، اتّحاد الكتّاب العرب في دمشق، العدد المزدوج 120–121، 2011م.
- حسين، ياسر البلتاجي: الذّات والموضوع في شعر البياتي وسامي مهدي، سمنود، [د]، 2022م.
- الدّيوب، سمر:
- الثنائيات الضدية بحث في المصطلح والدلالة، سلسلة مصطلحات معاصرة، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، [د.ت].
- الثنائيّات الضدّيّة دراسات في الشعر العربي القديم؛ وقد درست فيه الثنائيات الضدية في القصائد المنتهية بالياء المطلقة، واهتمت بدراسة جمالية النسق الضدي في شعر أبي العلاء المعري.
- الرشيدي، مسلم عبيد: الثنائيّات المتضادة وأثرها في شعر زياد الأعجم، مجلة مدد الآداب، جامعة الأمير سلطان، الرياض، ع30، ص258.
- سعيد، جلال الدّين: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، [ت].
- الشريف، جلال فاروق: الرومانتيكية في الشعر العربي المعاصر في سورية ملامح ثورة مهدورة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1980.
- صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، [د.ت].
- علي بن محمد، الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1985.
- الفرفوري، فؤاد: أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها، الدار العربية للكتاب، 1984م.
- قط، عبد القادر: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، 1981.
- مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.
- منجّد، محمد حسن:
- رماد الهشيم، (ديوان شعر)، مكتب نينوى للكمبيوتر والطباعة، حماة، كفربهم، 1985م.
- نداء الرميم، (ديوان شعر)، مكتبة نينوى للطباعة والنشر، حماة، كفربهم، 1999م.
- جراح الصميم، (ديوان شعر)، مكتبة نينوى للطباعة والنشر، حماة، كفربهم، 2001م.
- سهر الشوق، (ديوان شعر)، دار الفارابي للطباعة والنشر، حماة، 2009م.
- صراخ الجحيم، (ديوان شعر)، [د]، 1975م.

- مندور، محمد:
- الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، [د.ت].
- الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر، [د.ت].
- مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ط2، مج4، [د.ت].
- موقع نفحات القلم: Https:// pen_sy.com.
- نشاوي، نسيب: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- هلال، محمد غنيمي: الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر، القاهرة، [د.ت]،
- وغليسي، يوسف: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، (بحث في ثوابت المنهج، وتحوّلاته العربيّة، ومحاولات لتطبيقه)، مكتبة جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017.